تجديد الخطاب الجزائري بين النسق السياسي والفعل الثوري ما بين.1954/1830

الدّكتور : أحمد مريوش
المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة

تمهيد /

إن الدارس لمراحل تطور المجتمع الجزائري خلال الحقب التاريخية المختلفة يجده مفعما بالأحداث و التحولات التي طرأت على ديمومة مساره وشكلت منه ذلك النسيج الاجتماعي الذي مكن من استمرارية تطوره، ومكن للأمة الجزائرية من البقاء، بل فتح أمامها في بعض الأحيان مجالات التفوق و الشهرة وفرض الكلمة في محيطها الإقليمي و الدولي. و إذا كانت بعض الحقب التاريخية خصوصا القديمة منها ما تزال محل الدراسة والتنقيب وأحيانا مثارا للجدل والشك في وسط بعض المهتمين بكتابة تاريخ الجزائر وبالخصوص القديم منه وسط الفئة المهتمة بغرس ثقافة الانهزام في نفوس الناشئة ، فإن هناك من كتب المراحل المضيئة في مسار تطور الأمة الجزائرية ،وهي غير قابلة للتشكيك و المس بقدسية ممن شكلوا حيثياتها، ومن أهم هذه المراحل التاريخية الفترة المعاصرة وبروز السيادة الوطنية كمعلم جوهري

في معادلة التوجه الإيجابي منذ دحر التحرشات الإسبانية الصليبية التي استهدفت سواحل الجزائر وتغييب السيادة الوطنية.ومع مطلع القرن السادس عشر استطاعت الجزائر بفضل هبتها البحرية من استرجاع سيادتها على الموانئ وتخوم البحر و امتدادا لليابس، وظلت علاقتها مع دول الشمال من البحر المتوسط بين المد و الجزر بفضل قوة و ضعف السلطة المركزية من جهة ، ونوعية العلاقة بينها و بين الباب العالي من جهة أخرى،و الملاحظ عن هذا الارتباط في نوعية العلاقات بين الجزائر وشركائها قد حددته إلى حد كبير نوعية العلاقة التي ربطت الجزائر بالباب العالي منذ **1516** وبروز

الأخوة بربروس وعروج إلى نهاية حكم الدايات في الجزائر سنة **1830**مع الحفاظ على خاصية السيادة الجزائرية .[1]

ومنذ مطلع القرن التاسع عشر تظافرت عوامل كثيرة داخلية و دولية من تمكين الفرنسيين من الانفراد باحتلال الجزائر، و بسط النفوذ في منطقة الشمال الإفريقي، وكان مرد ذلك بالدرجة الأولى إلى اختلال التوازن بين ضفتي المتوسط ، فكانت دول أوروبا وقتها تعيش حركة بداية التنوير بعد أن أرست معالم النهضة و أسست للثورة الصناعية و الفكريـــة و الاهتمام بحركة الكشوف الجغرافية وتقيم النتائج للمخابر العلمية ، في حين كانت الجزائر وقتها تعيش وقع الاضطرابات و التناحر على السلطة وتدخل الإنكشارية في توجيه الحكم بل و التخطيط و رسم خطط الاغتيالات ومن تم هيمنت الجيش على مقاليد السلطة وسدة القرار، مما وسع من الشرخ بين أقاليم البيالك حتى أصبح حكم الداي بالعاصمة وعلاقته بالبيالك الأخرى لا يتعدى سوى حصوله على الدنوش السنوي للخزينة و بعض الهدايا من حين لآخر، وقد أثر ذلك سلبا على التماسك الاجتماعي والسياسي و حتى الاقتصادي للجزائر بغض النظر عن ثراء معيشة البلاط وحاشيته المنغمسة في الترف، مما فتح المجال أوسع أمام تزاحم الامتيازات الأجنبية على الجزائر، و التي كانت سببا جوهريا في فتح شهية الاحتلال العسكري المباشر. [2]

ومن المعروف تاريخيا أن قيمة المجتمعات وتفاعل أحداثها تكمن بالدرجة الأولى في مدى أهمية وتماسك شعوبها مع بعضها البعض بغرض تعزيز الوحدة والتكافل و التماسك الاجتماعي ، وهذه الصفات لم تكن غائبة عن صيرورة المجتمع الجزائري الذي عرف عبر حقبه التاريخية كيف يتعامل مع بعضه البعض لتجاوز المحن، بل و التصدي لكل ما هو دخيل عليه ، وخير مثال على ذلك مقاومته للاستعمار الفرنسي ، إذ لم يتقاعس الشعب الجزائري عن أداء واجبه برغم ضعف الإمكانات التي كانت بحوزته عشية الاحتلال الفرنسي .

مرجعيات فكر المقاومة الوطنية

و الحق أن نشاط الفئات الاجتماعية بمختلف مكوناتها الفكرية و الدينية و الاجتماعية قد تجسدت في ميدان المقاومة الشعبية منذ الوهلة الأولى للاحتلال مع بروز مقاومة الشيخ السعدي في منطقة متيجة وكذا تغيير خطاب المواجهة التي لجأت إليه طبقة الحضر الذي لم يفض إلى نتيجة ملموسة ، بعد كشف فرنسا عن نيتها للتوسع شرقا و غربا ، وكل ذلك أجمع الزعامات و القيادات الجزائرية على ضرورة تجديد التعبئة للتعبير عن المواجهة و من ذلك ظهور الأمير عبد القادر الجزائري في القطاع الغربي وهو رجل دين ودولة حارب فرنسا وأسس الدولة الجزائرية الحديثة وربط العلاقات مع الخارج [3] إلى جانب مقاومة الحاج أحمد باي بالقطاع الشرقي[4] إلى استمرار المقاومات الشعبية مثل مقاومة لالافاطمة نسو مر ببلاد القبائل، وثورة المقراني و الحداد إلى اتساع المقاومة الشعبية وامتدادها إلى حواف الصحراء كمقاومة الزعاطشة و الشيخ بوعمامة [5]وانتهاء بثورة الهوقار ورفض الطوارق للتوسع الفرنسي في أقصى الجنوب الجزائري سنة 1916 [6] .

وإذا كانت ردود الفعل الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي منذ الوهلة الأولى اتجهت إلى الأخذ بحد السيف ، فإن الجانب السياسي لم يكن غائبا عن التعامل وكانت هناك نشاطات مكثفة قام بها كل من حمدان خوجة وأحمد بوضربة من أجل الوصول إلى الحل السلمي ، وفي ذلك النسق راسل حمدان في الكثير من المرات زعامات المقاومة الشعبية وحتى الباب العالي باسطنبول [7]كما تعاون مع الإدارة الفرنسية التي كانت له دراية واسعة بمفاصلها [8]، ولو أن فرنسا لم تكن راغبة في ما كان يصبو إليه حمدان وجماعته بقدر ما أنها وظفت هؤلاء الحضر من أجل ربح الوقت و الحصول على التهدئة لأن خاتمة الرجلين كانت النفي إلى الباب العالي و باريس . وعلى الرغم من التضحيات الجسام التي قدمها الجزائريون خلال القرن التاسع عشر ، إلا أن قوة فرنسا حالت دون نجاح الجزائريين في تحقيق مسعاهم الرامي لعدم العيش في كنف الهيمنة و الاستغلال ، لذلك بسطت فرنسا سيطرتها على التراب الجزائري بعد أن وضعت لذلك نموذج إداري

خدم مصالحها سواء المدني منه أو العسكري ، كما سنت لذلك منظومة قانونية و تشريعية لتقوية اقتصادياتها منذ إنهاء مرحلة التردد وبروز القناعة التامة لدى الكثير من الفرنسيين بضرورة توطين فرنسا في الجزائر.[9] و بناء هرم مؤسسات مدنية و عسكرية يضمن بقاءها في المستعمرة ، وبذلك أصبحت الجزائر نموذجا حيا للكثير من الجرائم الفرنسية كمجزرة العوفية في ابريل **1830**ومجزرة البليدة في اكتو بر **1935** و مجزرة المدية في **1836** و مجزرة أولاد رياح في جانفي **1845** و مجزرة السبيعة في **1844** و مجزرة أولاد نايل في **1849** و غيرها من المجازر لوحشية ضد الأبرياء [10]

و القيام بالتجارب على الجزائريين كان آخرها التفجير النووي في منطقة توات برقان في الصحراء في **13** فبراير **1960** عشية إنهاء المفاوضات الجزائرية الفرنسية [11].

ولعل ما ميز الخطاب الجزائري خلال القرن التاسع عشر هو الدفع بالمقاومة نحو الأمام والتصدي للاحتلال عن طريق الفعل المباشر من دون توظيف الخطاب السياسي في الكثير من الأحيان باستثناء ما توصلت إليه فرنسا من إبرام بعض المعاهدات مع مناطق لها خصوصيات محلية كما فعلته مع بني ميزاب و التوارق في أقصى الجنوب .

من مرحلة التصادم إلى حركة النهضة و الفعل السياسي :

ومع مطلع القرن العشرين و في خضم التحولات العديدة التي شهدها العالم كانت النخبة الجزائرية مواكبة لذلك الإرهاص السياسي الذي لاح أفقه في الكثير من المستعمرات وتبنته العديد من الشرائح المتميزة اجتماعيا و ثقافيا ، ومن تم فلا غرابة من أن نجد المطالب الجزائرية تتولاها فئة النخبة و تبرز في العديد من العرائض التي بلغت لحكومة باريس أو للولاية العامة ،ومن ذلكما قدمه الوفد الجزائري الذي سافر إلى باريس سنة **1912**،ولو أن مطالبه ظلت توفيقية لأنها أبقت على الارتباط بالأبوة الفرنسية [12]

لكن ذلك لم ينف من نمو الشعور الوطني لدى بعض الجزائريين و الذي ظل مكبوتا بفعل قوة الردع الاستعمارية لما يقارب من قرن كامل من الاحتلال.

وهكذا بدأت المطالب الجزائرية تتبلور شيئا فشيئا مع تبلور الحقوق السياسية التي ظلت مهضومة لمدة أطول ، و الحق أن المرحلة كانت جد هامة بالنسبة للجزائريين الذين عرفوا كيف

ينتقلون مع العمل التصادمي المباشر إلى مرحلة جديدة في التعامل مع القضية الوطنية ، بعد أن أصبحت لغة القوة غير مجدية بل هي مضرة لاختلال التوازن في القـوة المعرفيـة و الفكرية و التنظيمية و الاقتصادية و العسكرية بينهم وبين فرنسا .

وكان الفعل السياسي الجزائري الجديد تتجاذبه أطراف فاعلة في هرم المجتمع جسدتها النخبة سواء التي تربصت في المدرسة الفرنسية وظلت على علاقتها ببنيتها الدينية لانتساب معظم أفرادها لمشارب دينية كالمرابطين ورجال الزوايا ، أو الأعيان و الوجهاء ورجال الدين الذين لم يفرطوا في الوطن برغم الظروف الصعبة التي كانوا يعيشونها تحت نير الجبروت و الاستهتار ضد قيمهم و مكوناتهم ، وكانت المطالب في رؤية الفريقين متقاربة و ارتكزت أساسا على البناء الفكري والسياسي المطعم بالمرجع الديني مع توظيف القيمة الاجتماعية المبنية على التماسك بغرض التنظيم و التعبئة الشاملة لتفادي عمل التجزئة باعتبار أن تجزأت المجزأ كان من بين الأخطاء التي ظهرت جليا في جهاد المقاومة الشعبية التي لم تكلل بالنجاح لأنها لم ترق إلى تحقيق التلاحم الوطني المنشود ولتفعيل حداثة المجتمع الجزائري مع مطلع القرن العشرين ومسايرته للواقع رصدت النخبة معالم جديدة في مسار العمل الوطني بغرض تقوية البنية القاعدية للمجتمع ، واعتمدت في ذلك على العمل الجمعوي و تأسيس العديد من الجمعيات و النوادي الثقافيـة و الفكرية و الدينية في أهم المدن الكبرى لتتوسع فيما بعد كم أسست لها فروع في الحواضر الأخرى وقد بلغ عددها ما بين **1900**الى**1940** ما يزيد عن **143** بين جمعية ونادي ، وهي موزعة بحسب العملات الثلاث كالتالي: عمالة قسنطينة و بها **67** ، وعمالة الجزائر التي وصل بها العدد إلى **55** ، وعمالة وهران احتضنت هي بدورها ، **10**، في حين بلغ عدد الجمعيات في الصحراء **11**، وبذلك يعد القطاع الغربي أفقر النواحي في العمل الجمعوي مقارنة بباقي المناطق الأخرى التي هيمن عليها العمل الخطاب الإصلاحي **(13)** ولو أن التقارير الفرنسية السرية تذهب إلى ابعد من ذلك إذ تذكر انه خلال شهر أكتوبر من سنة **1955**بلغ عدد الجمعيات و النوادي **410** وهي موزعة بين العملات كما يلي : عمالة الجزائر بها :**101** ووهران بها : **97** وقسنطينة بها : **188** ومنطق الجنوب بها :

24 بين ناد وجمعية محلية [14] كما ركزت النخبة في بلورة مطالبها على الحركة القلمية و بعث الحركة الصحفية ونشر المقروئية بين الجزائريين من خلال تأسيسها للعديد من الجرائد و الدوريات التي أخذت أسماء هادفة في مناطق عدة من الوطن مثل قسنطينة و الجزائر و وهران وعنابة و بسكرة ونحوها من المدن التي عاد إليها بعض الشباب الذين سمحت لهم الظروف للدراسة سواء في المدرسة الفرنسية أو الذين سافروا باتجاه دول المشرق ونهلوا من العلوم العربية و الإسلامية ،وقد ساهموا بما يملكون من خبرة في صناعة الصحافة مثل جريدة الحق والمنتخب والإسلام وكوكب إفريقيا و الفاروق و الجزائر و ذو الفقار و المصباح و المنتقد والشهاب و الإصلاح و الأمة و نحوها من الجرائد والعناوين التي أذكت الهمم في نفوس الجزائريين ووسعت من الثقافة باللسان العربي بين طبقات الشعب الجزائري، بل أحيث حلقة كانت مفقودة في الوسط الجزائري وهي المطالعة و تتبع ما ينشر و معرفة الأحداث ، وبالتالي تعد مرحل إحياء حقيقية في خطاب الوجهة الثقافة و الفكرية وحتى أكسبت البعض طريقة الحوار والتعامل مع الحدث ، وكل ذلك يمكن أن نسميه بالثورة الثقافية الجديدة التي ميزت جزائر بداية القرن .[15] بل اعتبرها احد رواد النخبة المفرنسة وهو الشريف بن حبيلس بأنها مفيدة للجزائريين وهي رسالة حضارية [16] وبنفس التقييم تقريبا جاء في مذكرات بن نبي حول جريدة صوت الشعب التي أصدرها علي بن أحمد بالعاصمة أنها كانت هامة بقوله: لا أتذكر ما قرأت في العدد الذي وصلني منها ، ولكنني أتذكر أنني شعرت من خلال لهجتها أن صدورها عبر عن مرحلة جديدة في تاريخ الصحافة الجزائرية الوطنية التي انتقلت من المطالبة بحقوق الشعب إلى الهجوم الصريح على الاستعمار . كانت هذه النغمة جديدة فعلا على صحافتنا [17]إذ تناولت هذه الصحافة مختلف الإجراءات القمعية الاستثنائية و المطالبة بالحد من إضرارها وحتى إلغائها ، وكان التصريح بكلمة الوطنية يعني إعطاء الفرصة للإدارة حتى تعاقب الخارجين على القانون و التقليل من المعاناة وبذلك نقلت الصحافة للآخر مشاغل الجزائريين[18]

كما كان لميلاد المسرح الجزائري المساهمة الكافية في تنوير وتجديد الخطاب بغرض النهوض بالفكر و الحث على التربية السياسية و تقويم الرأي العام وخصوصا في المدن

الكبرى ،ومن تم وظفت خشبة المسرح لا للترفيه فقط بل للوقوف عند الكثير من العينات و المآسي التي كان يعانيها الشعب من ويلات الاستعمار، ومثلت مسرحيات عديدة في المؤسسات التربوية و في المسارح البلدية ، وربط رجال السياسة خشبة المسرح بالقضايا الوطنية وتجسد ذلك في إسهامات الأمير خالد في بناء مسرح جزائري لف حول قضايا المطالب السياسية من خلال الجولات التي قادته للعديد من المدن الجزائرية . وكان رجال الدين و الإصلاح لا يفوتون الفرصة هم أيضا في إحياء الأعياد و المناسبات الدينية وتمثيل الروايات الإسلامية لقادة خدموا الإسلام و نشروا الثقافة العربية و الإسلامية في ربوع العالم.

كل ذلك مكن من الحس السياسي الوطني و ظهور حمى الكتابة و النقد، وزرع ثقافة التحرر وتدوين العرائض المعبرة عن رفض مسايرة القوانين الاستعمارية.(19)

تجديد فكر النخبة وميلاد الطموح المشروع لدى حركة الأمير خالد

خلال هذه المرحلة تكون جيل من الشباب الجزائري عرف كيف يكيف نفسه مع المستجدات الراهنة ، بل واستفاد إلى حد كبير من تجربة حركة الشباب التونسي في المجال السياسي و الصحفي من خلال تواجده بالزيتونة و الخلدونية ونحوهما ، وأصبحت حركة الشبان الجزائريين بذلك تسعى لتوظيف إمكاناتها المعنوية للبحث عن التغيير مع العلم أن تلك المحاولات كانت بطيئة ولكنها تركت مفعولها في الوسط الجزائري مقارنة بالسنين العجاف الماضية .

ولعل قناعة النخبة بالتعايش مع الطرف الآخر و الاحتكاك به كانت لها نصيب من الفائدة في الحقل المعرفي و التمرس في اللعبة السياسية ،ومن تم توريث القناعة السياسية لجيل العشرينات ، حتى أضحى المطلب السياسي و العمل الوطني حقا مكتسبا للقضية الجزائرية في ظل تنامي الشرعية الدولية لحقوق الشعوب المستعمرة عشية إنهاء الحرب العالمية الأولى والتبشير بمبادئ ولسون **14** ، والتي نصت على حرية الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها .

وخلال هذه الفترة عرفت النخبة الجزائرية حركية ملحوظة بعد مشاركة العديد من الشبان الجزائريين في الحرب العالمية الأولى ويقدر عدد المجندين بحوالي ثلث السكان الذكور الذين بلغوا سن 20و30 سنة إما بشكل جنود أو يد عاملة معبأة خدمة للحرب (20) و من دون شك أن الشباب الجزائري المجند قد عايش الكثير من معالم النشاط الثقافي والحياة الصحافية وقضايا الفكر والحوار وتعدد المطالب لبلوغ المكاسب ونحوها من القيم التي تبنى عليها الثقافة المطلبية المتشبعة بالمبادئ السياسية كالعدالة والديمقراطية وحقوق الإنسان ونحوها من المفاهيم الغائبة في الجزائر والتي لم يألفها المواطنون ، و ذلك ما مكن وزاد من قناعة أولئك الشباب بعد عودتهم من رحى الحرب ، بل وساعد على تفعيل المطلب السياسي خدمة للحصول ولو على جزء ضئيل من الحقوق المهضومة التي لم يألفوها عند الشعوب التي احتكوا بها خلال تواجدهم في أوروبا .

كل ذلك عجل ببروز النخبة الجزائرية التي طورت من أسلوب الخطاب كطرف فعال في الاهتمام أكثر بالقضية الجزائرية التي تحولت من الاتجاه التصادمي نحو اتجاه جديد وهو المطلب الحواري وبروز جماعة العرائض التي نمت الحس السياسي لدى شريحة معتبرة من الجزائريين ومن دون شك أن الأمير خالد قد استغل تلك الظروف بعد الحرب في رسم برنامجه الإصلاحي منذ 1919 وتدويله للقضية الجزائرية خلال ترأسه للوفد الذي قدم المطالب الجزائرية للرئيس الأمريكي ولسون خلال انعقاد مؤتمر الصلح بقصر فرساي بباريس . (21)

ويعد نشاط الأمير خالد لبنة جديدة في مجال تحريك الخطاب السياسي الموجه و المنظم الذي نقل انشغالات الجزائريين من كونها مطلبا داخليا مع فرنسا إلى نقلها للمحفل الدولي ومن تم أصبحت القضية الجزائرية قضية دولية، بل كثر المهتمين بها مع نمو حركات التحرر العالمية والمطالبة بحرية تقرير مصير الشعوب المستعمرة، وقد تألق نجم الأمير أكثر بعد دخوله معترك السياسة و فوزه في الانتخابات وحصده للكثير من الأصوات رغم معارضة جماعة تامزالي لبرنامجه الوطني وبروز خصوم و منافسين له .

كل ذلك مكن من قناعة الأمير أكثر من أي وقت مضى عن دفاعه المستميت عن القضية الوطنية ورفع صوته ضد تجنس و دمج الجزائريين وتخليهم عن أحوالهم الشخصية التي كانت الإدارة الفرنسية دوما تراهن عليها ،وقد أقلق عمل الأمير غلاة المعمرين وحكام البلديات و ذويهم من بعض الجزائريين المناصرين للسياسة الفرنسية و بالخصوص النخبة الاندماجية منها، وقد تحالف الجميع على ضرورة عزل الأمير و نفيه إلى الخارج .

لم يمكث الأمير في الإسكندرية طويلا بعد أن ظل على ارتباطه بقضيته التي لقيت رواجا كبيرا لدى دعاة التحرر في المشرق وحتى بلاد أوروبا ، وبعد وصول حكومة هيريو إلى السلطة في فرنسا سمح للأمير بالدخول مرة أخرى إلى باريس سنة**1924** ، و الظاهر أن الأمير عرف كيف يتفاعل مع الظرف وقتئذ بعد هبوب رياح المد الشيوعي على أوروبا الغربية وخصوصا في فرنسا التي استقطبت اليد العاملة من دول شمال إفريقيا ، وحسب ما ذكره أحد الباحثين وان الزخم النقابي الذي اشتهر به الجزائريون في فرنسا بزعامة الحاج علي عبد القادر كون طرحا جديدا وسط الطبقة العاملة التي أصبحت تسعى للمطالبة بحقوقها في الانتخابات و نحوها ، وكانت للرجل لقاءات مبكرة مع مصالي الحاج ففي شهر ماي من سنة **1924** تم لقاء تاريخي بين مصالي و الحاج علي أثناء مهرجان انتخابي للحزب الشيوعي الفرنسي وقتها قدم مصالي تهانيه للحاج عبد القادر في نهاية المهرجان حينئذ لم يكن أحد يعتقد أن هذا اللقاء يعد نقلة نوعية تمهد الطريق أمام المطالب الجزائرية الانفصالية عن فرنسا وسط الصياغات الوسطية التي كانت لدى المنتخبين والعلماء . (22)

وقد وسع الأمير من علاقاته مع دعاة التحرر بما فيهم بعض الفرنسيين، من جهة ومع الطبقة المهاجرة لدول المغرب العربي من جهة أخرى ، وكانت للأمير علاقة متميزة مع الحزب الشيوعي الفرنسي ، واستطاع من خلال ذلك أن يروج أكثر للمطالب الوطنية من خلال التنسيق مع المنظمات العمالية و النقابية وكلل ذلك الجهد بميلاد نجم شمال إفريقيا بباريس سنة **1926** . (23)

ولعل السؤال الذي يتبادر على الأذهان دائما هل كان الأمير هو السباق للعمل السياسي في جزائر بداية القرن و الذي يصب في التوجه الاستقلالي ؟ أم أن حركة الأمير تعتبر امتداد طبيعي لمن سبقه من قبل في ميدان المطالبة بالحقوق الجزائرية ؟من دون شك أن نشاط الأمير هو تكملة لمن سبقه من الجزائريين الذين عبروا في الكثير من المرات عن مرارة الاحتلال بواسطة إرسال العرائض أو الأشعار الشعبية ونحوها من المعارضة السلمية ، ونحن نورد هنا نموذجا حيا للقصيدة التي روجت بين الجزائريين خلال الحرب العالمية الأولى وكان بطلها: الحاج غليوم الإمبراطور الألماني الذي وجد فيه الجزائريون السند الكافي للمسلمين للتحالفه مع السلطان العثماني حامي الخلافة الإسلامية و القصيدة تعدت أبياتها المائة بيت و تعد بحق مصرا هاما للتعرف على عمق الجرح الجزائري ومما جاء في مطلعها :

يا الفرنسيين واش في بالك * الجزائر ماشي ديالك

يجي لا لمان يديها لك * لا بد ترجع كيبي في الزمان

أي أي كي نعمل له * الحاج قيوم يطلع سعده[24]

كما أن المطالبة الوطنية كثيرا ما احتضنتها البلدان المناوئة لفرنسا وخصوصا تركيا و ألمانيا التي استقبلت العديد من الشباب الجزائري الفار من الجيش الفرنسي خصوصا بعد ما تولد في الجزائر مناخ معارض للتجنيد قام على التبشير به المداحون في الأسواق و الأعراس و المناسبات المختلفة بحسب ما ذكره آجيرون .[25] وبذلك توسع الخطاب الشعبي و تعمقت مفاهيمه بل و تجدرت شعبيته للبساطة في أسلوبه و سهولة فهمه .

كما أن الخطاب المكتوب عرف هو بدوره تحسنا نحو الفعل السياسي وهناك من بين الأشخاص الأوائل الذين عبروا بحق عن القضية الوطنية ويدرجون في سجل النخبة ومنهم الملازم الفار من الجيش الفرنسي الحاج عبد الله بوكابوية الذي نشر باسم مستعار وهو الحاج عبد الله عدة كتيبات منها : الإسلام في الجيش الفرنسي طبع بالقسطنطينية سنة**1915** ، والجهاد ومسلمو إفريقيا الشمالية طبع في لوزان سنة **1917** ، وهناك اسم آخر يدعى محمد التحق بتركيا هو الآخر وخدم القضية الجزائرية بعدما

أصبح محررا لنشرة دعائية معارضة للفرنسيين تسمى : "الواجب" وكانت ترسل إلى الجزائر عبر إسبانيا .(26)

وإذا كانت كل من تركيا وألمانيا قد احتضنتا القضية الجزائرية ، فإن سويسرا كان لها الفضل الأوفر هي الأخرى في خدمة قضايا التحرر بعدما فتحت أبوابها للكثير من الزعماء العرب و منهم شكيب ارسلان والإخوة باش حمبة و الأمير سعيد الجزائري أحد أبناء الأمير عبد القادر،وإسماعيل الصفا يحي ، وقد وسعت هذه الجماعة من عملها مع النخبة التونسية و الجزائرية التي كونت" اللجنة التونسية الجزائرية " برئاسة الشيخ صالح الشريف وبمشاركة محمد مزيان التلمساني وهما جزائريان لعبا دورا كبير في القضية العربية في المهجر.(27)

ومن بين الأعمال التي ميزتها أنها قدمت لمؤتمر الصلح المنعقد في **18** جانفي **1919** مذكرة تحتوي على أحقية الجزائريين و التونسيين في الاستقلال وكان الخطاب مباشر وواضح ، ومما جاء في ختام المذكرة : " إن الشعب الجزائري و التونسي يطالب باستقلاله التام ، ويهيب بالضمير العالمي ليعترف له بحق تقرير مصيره بحرية و يرفع مطالبه الشرعية إلى مؤتمر الصلح الذي سيجتمع بعد أيام للنظر في خريطة العالم ، وإصدار مبادئ جديدة لضمان حقوق الإنسان و الشعوب .. " (28) .

كما أصدرت هذه الجماعة في المهجر مجلة المغرب التي تأسست سنة **1916** برئاسة محمد باش حمبة اهتمت بأوضاع الجالية ، كما طرحت قضايا مصيرية لشعوب المغرب العربي ، وكان خطابها صريحا وحادا وهي تخوض نضالا سياسيا ونددت بالاستعمار الفرنسي في كل من تونس و الجزائر كما طالبت بشرعية تقرير مصير البلدين .(29)

ومن دون شك أن ثقافة المقاومة التي نشرتها نخبة المهجر قد لقيت رواجا كبيرا بين شباب المغرب العربي ، وكان المهاجرون الجزائريون والتونسيون بالأستانة بعضهم يرسل إلى سوريا لمواجهة السياسة الاستعمارية هناك ، وكان المثقفون منهم يقودون دعاية ضد الهيئة الفرنسية وشرح أساليبها الاستعمارية ، وكان من أبرز هؤلاء المهاجرين محمد الخضر بن الحسين و أخيه في دمشق، و الطيب التواتي التونسي في حلب ، كما

لعبت جريدة الحاضرة التي كان يرأس تحريرها الجزائري علي بوشوشة دورا كبيرا في حركة الوعي وتحبيب الهجرة إلى الأستانة و سوريا للدخول تحت لواء حركة الجهاد و الانخراط في الجمعية الخيرية الإسلامية (30)

مما سبق ذكره نخلص على القول أن حركة تاريخ النضال العربي متقاربة في خطابها ومتكاملة في خصوصياتها وهي غير مجزأة و أن نشاط الأمير يعد همزة وصل مع الماضي الذي رسمه بعض الجزائريين ،وأن برنامجه الإصلاحي يعد نقلة نوعية في مجال المطالب الوطنية التي ارتكزت على حرية تقرير مصير الشعب الجزائري ، ومن تم فقد وسع الأمير من وسائل نشاطه بين العمل الدعوي و الصحفي والمسرحي و الدعائي ، بل أسس الأمير برفقة جماعته جمعية الأخوة الجزائرية سنة **1922**والتي كانت دعما جديدا لبرنامجه الإصلاحي (31)

و كانت الجمعية مفتوحة أمام انخراط النخبة الجزائرية المزدوجة الثقافة و انخرطت و ناضلت بها وجوه معروفة : أمثال محمد بن رحال و الدكتور بن التهامي و المحامي احمد العيمش و الطبيب محمد بن العربي و الطاهر علي الشريف ورشيد ساطور و الحاج عمر الميزابي ويوسف حميدة وقد عزز ذلك من نجاح وانتشار نشاط جمعية الأخوة حتى وصل عدد مكاتبها الى**140**مكتبا على مستوى الوطن ، ووصل صداها إلى مناطق الصحراء وكل ذلك أقلق الإدارة الفرنسية التي سعت مرارا لعرقلتها و توقيفها حسب مراسلة القائد العسكري لمنطقة غرداية إلى الحاكم العام بالجزائر العاصمة يبلغه فيها بخطورة الجمعية على مستوى الجزائر (32).

تبلور الفكر الثوري في خطاب الأطياف السياسية

بعد شيوع أفكار الأمير توسعت قناعة المطلب الاستقلالي لدى الكثير من الجزائريين، بل تولد عن ذلك ميلاد الكثير من الجمعيات و الأحزاب التي ناضلت في ذلك الاتجاه أو عكسه ، ونشطت حركة المنتخبين الجزائريين وأسست سنة **1927** بالجزائر العاصمة فيدرالية خاصة بها بغرض مصادرة تيار الاستقلال الذي ولد بباريس سنة

1926 ، والحفاظ على المكاسب والامتيازات والتقرب من الإدارة الفرنسية خدمة لتيار المحافظين المتملق للسلطة الحاكمة . (33)

وهكذا شهدت الجزائر في النصف الأخير من العشرينات بروز ثلاث تيارات أساسية قوية ، تيار إدماجي تدعمه السلطة الفرنسية باسم فيدرالية إتحاد المنتخبين المسلمين الجزائريين سنة **1927** ،وتيار طرقي ديني رفع شعار الدين الإسلامي وهو بعيد عن تعاليمه السمحة ، وكان من مدعمي هذا التوجه المنحرف مديرية الشؤون الأهلية ، وتيار استقلالي متوجس في صفوف الطبقة العاملة المهاجرة في فرنسا .

ووقتها ظل المجتمع الجزائري يبحث عن حلقة مفقودة بداخلة بين تلك المتناقضات في المفاهيم و القيم والأفكار، ولعله وجد راحته فيما بعد ولقي من يتكفل بدينه الصحيح البعيد عن الدروشة بعد عودة كوكبة من علماء الجزائر ممن كانوا يدرسون في الجامعات الإسلامية بالشرق ، و بعث حركة التجديد الإسلامي في الجزائر شأنهم في ذلك شأن إخوانهم في البلاد العربية و الإسلامية. ومنهم بن باديس و المولود الحافظي و مبارك الميلي و الطيب العقبي والبشير الإبراهيمي و أبو اليقظان،و العربي التبسي و الشيخ خير الدين وحمزة بوكوشة وقد سعت هذه الجماعة في وقت قصير إلى الإمعان و التفكير بكل جدية في إنقاذ ما يمكن إنقاذه مما تبقى من الدين ووسعوا من المشورة فيما بينهم وأسسوا جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بنادي الترقي بالجزائر العاصمة في **5** ماي من سنة **1931**،وبذلك تطور الخطاب الديني ، وكان الفضل في ذلك يعود إلى هذه المجموعة من رجال السلف الصالح الذين فضلوا خدمة الوطن عن حب الآخر، وأصبحت هذه الجماعة هي الناطق الرسمي باسم العلماء الأحرار في الجزائر برغم وجود رجال الدين الرسميين الذين نصبتهم مديرية الشؤون الأهلية لتبليغ الدين الخادم لسياسة فرنسا ، ومن تم أسس رجال الدين الأحرار نموذجا جديدا في معركة المفاهيم الدينية و الخلقية وأوجدوا توازنا هاما في محتوى الخريطة السياسية الوطنية (34)

ولذلك لم تسلم جمعية العلماء من المكائد الفرنسية وبالخصوص في شخصيها العقبي وبن باديس باعتبارهما عناصر مؤثرة في الساحة الجزائرية ، وقد اتهما بالدعاية لنشر الخطاب

الديني السياسي، ومن تم أصدر الكاتب العام للولاية ميشال قراره المشئوم في فبراير **1933** و القاضي بعرقلة صوت الجمعية و استهدف بالدرجة الأولى شخص العقبي وبن باديس ومنعها من التدريس في المساجد وعقد الندوات و الحد من النشاطات و نحوها من ميدان العمل الإصلاحي ، بل ذهب المرسوم إلى أبعد من ذلك و اتهام العلماء بالتواطىء مع الشيوعيين وتحريض الشارع على إثارة الشغب وتعكير صفوة الجو العام لاستقرار المعمرين وذويهم من بني وي وي [35]

هذا في حين ظل أصحاب التوجه الشيوعي يناضلون جنبا إلى جنب مع الحزب الشيوعي الفرنسي ، ولم يتم الانفصال عنه إلا بعد سنة **1935** وبرزت قيادة قيادات جديدة محورية في الحزب مثل عمار أوزقان التي كانت له إسهامات هامة في التحضير للمؤتمر الإسلامي سنة **1936** ، وقدم حزبه جملة من المطالب بعد الحرب العالمية الثانية مع استمرار علاقته بالشيوعيين الفرنسيين حتى لاندلا ع الثورة التحريرية [36] وانضمام بعض العناصر الشيوعية لصفوف الثورة فيما بعد بما فيهم أوزقان الذي ساهم برفقة المناضل عبان رمضان في تحرير بيان أرضية مؤتمر الصومام سنة **1956** كما أنه غير من خطاب حزبه وعبر عن قدرة الإسلام في خدمة الثورة بقوله : " الإسلام ليس إذا وعاء وزن وراثي متمهل ، ولا هو كابح إيديولوجي جامد في الترتيبات العالية ، ولكنه عصب محرك أكثر ضرورة للثورة من العوامل المحددة للأسس القاعدية .[37]

وإذا اعتبرنا أن نشاط جمعية العلماء قد ملء الساحة الوطنية منذ التأسيس والى غاية عشية اندلا ع الحرب الثانية ، فإن نشاط النجم كاد أن يحل محل الجمعية منذ صائفة **1936** ودخوله بقوة للجزائر بعد توظيفه للخطاب المباشر مع الجماهير وطرحه الصريح لقضايا الجزائر بما فيها المطلب الاستقلالي الذي آمن به الكثير ، وبذلك أصبح النجم غريما للجمعية ا بعد عودة مصالي إلى الجزائر و إلقاء خطبته المشهورة في الملعب البلدي ببلكور حينما كان وفد المؤتمر يعلن عن النتائج المتوصل إليها خلال سفرية باريس و لقاء الحكومة الفرنسية ، ويذهب العديد من المهتمين بدراسة الفترة أن مصالي عرف كيف يقطف ثمار المؤتمر بعد أن غازل الجمهور وخاطبه بأن الجزائر مرهونة ومعرضة للبيع و أن

جماعة المؤتمر همهم هو تحقيق برنامج بلوم فيوليت الاندماجي [38] وكل ذلك مكن الزعيم من التوغل في نفوس الجزائريين الذين ملوا من سياسة المطالب و الوعود الفرنسية الكاذبة بل أن مصالي تألق نجمه وتوسعت شهرته في العديد من المناطق الجزائرية التي زارها وفتح بها مكاتب و أسس خلايا للمناضلين .

ومن الواضح جدا أن الوضوح في خطاب التيار الاستقلالي أصبح عرضة أكثر من غيره لسياسة الحضر و المتابعة و الحجز و السجن، ومن تم وجد النجميون أنفسهم أمام مضايقات الشرطة الفرنسية سواء في المهجر أوفي الجزائر.وعشية الحرب العالمية الثانية شددت الإدارة الاستعمارية الرقابة على النجميين و حل الحزب سنة **1937** كما وضع مصالي الحاج تحت الإقامة الجبرية [39]

وبرغم الحذر السياسي الذي عرفته الأحزاب الوطنية عشية الحرب الثانية و الامتحان العسير الذي تعرضت له بعد المصيدة التي نصبتها الإدارة الفرنسية لجر الجزائريين لخدمتها في الحرب ، فإن ذلك كشف مرة أخرى عن قوة الحركة السياسية الفاعلة في خروجها منتصرة من الفخ وقد عبر الاستقلاليون و العلماء عن رفضهم لدعم فرنسا في الحرب لأنها ليست وفية لوعودها وأن الجزائريين ساندوها ووقفوا معها في حروب سابقة منها حرب السبعينيات والحرب العالمية الأولى ، ولكن الجزاء التهميش و سن القوانين الزجرية وعدم شعور الجزائريين ببصيص من الأمل في الحصول على الحقوق برغم تقديم الكثير من الواجبات . وهذا بالرغم من مواقف بعض الأطراف الجزائرية التي كانت ترى عكس ذلك وأن الوقوف مع فرنسا في الحرب سوف يكسب ثقة الحركة السياسية الجزائرية التي تتحصل لا محالة على الحقوق ، وكانت هذه النظرة قوية لدى العائلات الأهلية و القياد الذين هللوا للحرب ، وحتى لدى البيانيين وقد تطوع عباس شخصيا في جبهات القتال . ولو أنه رجع خائبا منها وقد غير عباس من خطابه السياسي وكشف عن ذلك بقوله : منذ جوان **1940**وفرنسا في شقاء ، وأبدا لم تكن عزيزة عن قلوبنا وسواء كانت غنية أو فقيرة فستظل هي فرنسا [40]

و الظاهر أن مواقف تيارات الحركة الوطنية أصبحت أكثر وضوحا في تعاملها مع الإدارة الفرنسية أكثر مما مضى ، لذلك تعرضت زعمائها و إطاراتها ووسائلها إلى المتابعة و السجن و الغلق للعديد من النوادي و توقيف الجرائد ، وبذلك ضعف الخطاب المباشر و قلت المواجهة وانتقل العمل السياسي إلى العمل السري الذي ازداد نشاطه أكثر وعقدت الاجتماعات السرية في جناح الليل و وزعت المناشير المحرضة ضد فرنسا وعلقت الملصقات على جدران المدن ، ونشط الخطاب الديني في المساجد والمحرض على العصيان المدني ، وكل ذلك مكن من بقاء النشاط السياسي على الرغم من فقدان الحياة السياسية لزعامات فاعلة مثل الشيخ بن باديس الذي توفي في قمة شعبيته في افريل سنة**1940** ، و كذلك متابعة مصالي قضائيا و أبعد إلى عين صالح ثم إلى برازافيل بعد مظاهرات العشابة بقصر الشلالة في افريل **1945** أين كانت إقامته الجبرية (41)

إنهاء مرحلة اليد الممدودة وتبني مرحلة القطيعة مع الآخر

وبعد نهاية الحرب الثانية و بداية تنظيم الحياة السياسية الجزائرية من جديد لجأت الإدارة الفرنسية كعادتها إلى وضع العديد من العراقيل أمام مسار العمل السياسي الوطني وكانت ترى في الخريطة السياسية نقلة نوعية سوف تشكل خطرا عليها بعد التقارب الذي أضحى جليا بين الإنتصاريين والعلماء والبيانيين منذ صدور البيان الجزائري في ق فبراير سنة **1943**نتيجة التحول الإيجابي الذي عرف به عباس بعد رجوعه الغير موفق من جبهات الحرب التي تطوع فيها (42)

وبرغم الفراغ السياسي الرهيب الذي أفرزته الحرب إلا أن الحياة السياسية في الجزائر لم تخمد وبقا دخانها خصوصا في المربع القسنطيني الذي سوف يؤول له الفضل في دعم الاستمرارية الحركية في الجزائر قبل وبعد إنهاء الحرب وكانت مدينة سطيف تعج بالعمل السياسي وقتها منذ **1942** حتى قال عنها بن يوسف بن خدة أنها عاصمة الجزائر السياسية بدون منازع لما كان بها من رجالات فعلوا العمل السياسي منهم: فرحات عباس والحاج مصطفاوي والأمين دباغين وأحمد معيزة أمين خزينة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (43) ،ووقتها ازدادت طموحات وأحلام البعض بانتصار الحلفاء على النازية ، وكانت مجزرة

الثامن ماي حلقة جديدة في قوة الفداء الجزائرية وتعسف وهمجية السلطة الفرنسية التي أنجر عنها إشتشهاد أكثر من **50** ألف شهيد ولو أن الباحثة في الموضوع:"أني راي" تقول أن الحصيلة يصعب تحديدها لهول المجزرة (44)

ومن دون شك فإن هذه المجزرة برغم عمق جرحها فإنها عززت الوئام الوطني بين التيارات السياسية الوطنية التي لم يسلم أي طرف منها من الجرم الفرنسي المتنكر للمساهم الجزائرية في الحرب ، وقد أضفى ذلك إلى الإمعان الجيد في ضرورة إعادة الخريطة السياسية المحظورة من جديد ، وبلوغ درجة جديدة من الوعي الذي اختلف عن سابقه بكونه صب في التمكين الثوري ، والتحصيل الجيد للشباب المتحمس الذي عرف أسرار الحرب وأخذ عنها الشيء الكثير .

وبدون شك أن مجزرة المربع القسنطيني قد عززت من شكوك الإدارة الفرنسية تجاه شركائها السياسيين من النواب ومسئولي المجالس المختلفة ، وقد كان ذلك واضحا تجاه عباس وعبد القادر بن السائح إذ تم إبعادهما إلى الجنوب الوهراني ، ولعل ذلك ما عمق من علاقة البيانيين مع رجالات الحركة الوطنية بما فيهم جمعية العلماء وتقارب خطاب خطاب البيان مع العلماء ، وازدادت قناعة عباس بالقضية الوطنية المرتبطة بالدين الإسلامي ومن ذلك قوله: " إن الفكر الفرنسي هو أساس حياتنا الأخلاقية ، ولكن يبقى الإسلام إيماننا الخالص و العقيدة التي تعطي للحياة معنى وطننا الروحي "(45)

ومع مطالع سنة **1946** جددت الأحزاب السياسية نفسها من جديد ولو أنها ظهرت بأسماء أخرى ، فأسس الاستقلاليون حركة انتصار الحريات الديمقراطية ، في حين ظهر البيانيون باسم الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ، كما وسعت جمعية العلماء من نشاطها هي الأخرى بعدما نفي رئيسها الإبراهيمي إلى منطقة آفلو ، كما سار اليساريون على منوال الأحزاب الأخرى ، ولعل الشيء الملفت للانتباه هو عودة الحركة الصحفية بقوة هذه المرة سواء باللغة العربية أو الفرنسية وقد عبرت عن طموحات و آمال الجزائريين من خلال الخطاب الصريح و الواضح فجماعة مصالي أسست مجموعة من الصحف منها:صحيفة المغرب العربي و المنار، وصوت الجزائر و صوت الشعب ، كما أصدر عباس

مولود إعلامي هام بالعربية تحت عنوان:الوطن ، ولعل عباس تدارك ما قاله سابقا وكشف للرأي الوطني أن هناك وطن أسمه الجزائر كما أصدر الشيوعيين جريدة الجزائر الجديدة باللغة العربية (46)

ولا نبالغ هنا إذا قلنا أن فشل السياسة الفرنسية في أسلوب الإصلاحات التي كانت تراهن عليها في الجزائر و آخرها دستور **1947** جعل التيارات المعتنقة للإصلاح و الوسطية من ليبراليين وعلماء ونواب يجنحون نحو أفضلية مبدأ العمل الثوري و الانفصالي بذلا من المراهنة على مبدأ الاعتدال و المساواة .

مرحلة إنهاء التردد وتبني النهج الثوري المحسوم

وبرغم الاهتزازات التي شهدتها الساحة السياسية الجزائرية خلال هذه الفترة الهامة من عمر الحركة الوطنية كالأزمة البربرية التي حيكت ضد الإنتصاريين سنة **1947** (47) و اكتشاف المنظمة الخاصة سنة **1950**الذي إرادتها حركة الانتصار إن تكون جهازا للتحضير للثورة منذ فبراير **1947** ، وما تعرض له المناضلون من متابعة وسجن واختفاء الذين فروا إلى الجبال أو السفر نحو المغرب و القاهرة و فرنسا (48) ، وحتى الجمعية لم تسلم هي الأخرى من تلك المكائد و المضايقات مما دفع برئيسها الإبراهيمي إلى السفر سنة **1952** إلى المشرق للبحث عن شركاء جدد للقضية الجزائرية بحسب تعبير الأستاذ العراقي" محمد عبد الله الحسو"عن زيارة الإبراهيمي للعراق بقوله : ثم أوفدت رئيسها إلى المشرق في مارس **1952** سفيرا للجزائر وناطقا باسم شعبها ومعرفا بقضيتها ومطالبا بحق الأخ على أخيه ، ومذكرا بواجب الأخ نحو أخيه .." (49) ومهما يكن من صعوبة المرحلة فإن ذلك لم يقلل من عزيمة المطالب الوطنية التي تجدرت لدى القاعدة .

و الظاهر أن تعددت الصراعات داخل حركة الانتصار ولد رؤية جديدة لدى جناح من المناضلين الشباب الذين تركوا فكرة التوافق و المرحلية و جنحوا إلى قناعة العمل المسلح الذي أرست أسسه المنظمة الخاصة ، وبعد تضافر جملة من العوامل الداخلية والإقليمية الدولية فجر هؤلاء الشباب الثورة التحريرية في نوفمبر **1954** و انهوا مرحلة التردد وقد أشار إلى ذلك الظرف المواتي بيان أول نوفمبر في أحد فقراته بقوله : "

فنحن نعتبر قبل كل شيء أن الحركة الوطنية بعد مراحل من الكفاح قد أدركت مرحلة التحقيق النهائية ، فإذا كان هدف أي حركة ثورية

في الواقع هو خلق جميع الظروف الثورية للقيام بعملية تحريرية ، فإننا نعتبر أن الشعب الجزائري في أوضاعه الداخلية متحدا حول قضية الاستقلال و العمل ، أما في الأوضاع الخارجية فإن الانفراج الدولي مناسب لتسوية بعض المشاكل القانونية التي من بينها قضيتنا التي تجد سندها الدبلوماسي وخاصة من طرف إخواننا العرب و المسلمين .. " (50) .

وعلى الرغم من إنفراد جماعة الانتصار بإشعال فتيل الثورة إلا أن وقودها ساهمت في إيجاده العديد من الحساسيات الوطنية وهو نتاج لزخم تاريخي طويل وعصارة فكرية تولدت لديها قناعة العودة من جديد إلى حمل السلاح مع الحفاظ على الحوار السياسي كطرف متمم للقضية الجزائرية، وقد أشارت هذه الجماعة صراحة إلى هذا التوجه الجديد بقولها : " إن الوقت قد حان لإخراج القضية الوطنية من المأزق الذي أوقعها فيه صراع الأشخاص و التأثيرات لدفعها إلى المعركة الحقيقية الثورية إلى جانب إخواننا المغاربة و التونسيين .." (51)

وقد ذكر محمد جغابة في دراسة له حول بيان أول نوفمبر أن هذه الوثيقة المرجعية اتصفت بالشمولية لأن النداء خاطب الشعب الجزائري على العموم و المناضلين على الخصوص ، والبيان لم يستثني فئة دون الأخرى ، وأن الذين فجروا الثورة راهنوا على قيمة الشعب الجزائري كمحور أساسي في معادلة النجاح ، وذلك يمثل نقطة منهجية هامة في محاور البيان (52)

لذلك لم تجد القيادة السياسية في توجهها الثوري صعوبة كبيرة بين معتنقي فكرتها بين جموع الجزائريين الذين فتحوا صدورهم لتوجيهات ومطالب الثورة ، وكان الإقبال عليها كبيرا جدا باعتبارها المنفذ الوحيد لاسترجاع السيادة الوطنية ، وساهمت فيها الفئات الاجتماعية على مختلف مشاربها ، ولم تكن ثورة نوفمبر ثورة نخبة ولا ثورة فكر و سياسة و أعيان بقدر ما كانت ثورة شعبية مستلهمة من الدين الإسلامي و قيم الجزائريين، وإذا

كانت المدينة قد خططت للثورة ويعود لها الفضل في عملية الإرهاص فإن الريف قد حماها و ساهم في إنجاحها (53)

وهناك حقيقة لابد من الإشارة إليها وهي مكانة الخطاب الديني السياسي في جمع شمل الجزائريين وتقوية صفوفهم وتلك من نتائج الحركة الإصلاحية التي عمقت من المقومات الوطنية وعشية اندلا ع الثورة كانت الرؤية متقاربة إلى حد ما بين الجزائريين في مقاومة الاستعمار الفرنسي بما فيهم القيادات ، وهذا "سعد دحلب" يشير إلى مكانة الإسلام في أنجاح الثورة بقوله : "وعشية الفاتح من نوفمبر كانت الفكرة الوطنية قد استكملت جل العقول و الضمائر الجزائرية ، بيد انه كان كل شخص يرى المشاكل بالنظرة الخاصة للحركة أو المنظمة التي كان ينتمي إليها ، ولم يكن يكفي الانضمام في صفوف جبهة التحرير الوطني لتغيير المشاعر و المعتقدات بيت عشية وضحاها ، إن الإسلام لكونه الأرضية المشتركة لجل الجزائريين هو الذي لحم هؤلاء ومكن الجبهة من الظهور في شكل كيان واحد ، وغير قابل للتجزئة ، وأنه الإسلام الذي وضع حدا لمحاولات محو شخصية الشعب الجزائري ." (54)

ولذلك كانت جهود العربي بن المهيدي رحمه الله مركزة حول فعل الشمولية وإقحام كل الجماهير في نصرة ثورة حتى تكون المسؤولية جماعية وهو القائل ساعدوني عل إخراج الثورة إلى الشارع و أنا أضمن نجاحها (55)

وقد ركز على ذلك المجاهد عبد الحميد مهري في شهادته حول الرجل بقوله : إن ما تتميز به شخصية العربي بن المهيدي هو إيمانه بالشعب الجزائري و بقدرته على خوض المعركة ضد الاستعمار ...والثقة بالشعب الجزائري في عز المعركة المسلحة لا تصدر إلا عن مناضل يغرف هذا الشعب معرفة حقيقية و عميقة " (56) .

و الخلاصة أن طبيعة ردود الفعل الجزائرية تجاه الاحتلال الفرنسي تعددت أشكالها من الفعل العسكري إلى الفعل الثقافي والديني و الاجتماعي و السياسي ، ولم تكن حركية المجتمع مقتصرة خلال القرن **19** على الفعل العسكري كما روج له البعض للتقليل من شمولية الفعل الوطني، بل نجد أن المقاومة الوطنية كانت سياسية وثورية وعسكرية، فالفعل

العسكري تسبقه نشاطات مكثفة سياسية و تعبوية وهي مرحلة ملء الحماس في نفوس حركة المقاومة قبل عملية الفعل العسكري ، وذلك من خلال ترشيد الأمة وتعميق قوتها الإيمانية بحب الوطن و كذا الدود عنه ، وإلا كيف نفسر إقبال الجزائريين الواسع على مرحلة المقاومة الشعبية إذا لم تسبقها تعبئة شاملة من الوجهة النفسية كما أن تطور الخطاب الديني و السياسي منذ بداية القرن العشرين مكن من المقوم الوطني في نفوس الشريحة الواسعة من الجزائريين سواء نخبة أو عامة، ورسم معالم جديدة للمجتمع الجزائري المعاصر و المواكب لجل التحولات التي شهدها العالم وقتها ، وكان من نتيجة ذلك تحوله نحو الأخذ بالعقلنة و الرشد و المعرفة الجيدة للطرف الآخر مع رصد جملة من قنوات للتفعيل ألت في نهايتها إلى تنظيم المجتمع و التقليل من الفروق السياسية بين أطيافه التي جمعتها في الكثير من المرات سياسة الاحتلال ، كما أن التطورات الدولية كانت سببا كافيا في تنوير الخطاب الجزائري نحو الأفضل و الشمولي في معالجة قضايا الجزائر المصيرية مع وضوح الرؤية الاستقلالية لدى معظم التيارات السياسية مع نهاية الحرب الثانية وكل ذلك أضفى إلى مرحلة متقدمة من الائتلاف السياسي الجزائري التي فضلت بعض تياراته السير قدما نحو تعميق البعد الثوري على حساب السياسي ، وكان ذلك واضحا لدى جناح من حركة الانتصار التي كان لها السبق في تفجير ثورة التحرير المباركة سنة **1954**.

الإحالات المعتمدة في الدراسة

1/ للتعرف أكثر حول هذه العلاقة راجع : أرجمند كوران ، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر 1847/1827، ترجمة عبد الجليل التميمي ، ط1 ، تونس 1974 .

2/ عمار حمداني ، حقيقة غزو الجزائر ، ترجمة لحسن زغدار ،ط2 ، منشورات ثالة الأبيار2007، ص.29

3/ الأمير عبد القادر ، مذكرات الأمير عبد القادر ، تحقيق محمد الصغير بناني و آخرون ، ط1 ، دار الأمة 2008 .وكذالك :

4/ Abdeljelil temimi ;le beylik de Constantine et hadj Ahmed bey 1830/1837 ; Tunis 1978 ; p 171 .

5/ يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين ، ط1 ، دار البعث قسنطينة 1980 ص 52 إلى 245 .

6/ أحمد مريوش ، التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهوقار 1916 ، مجلة المصادر ، العدد 11 ، سنة 2005 ، ص 113 .

7/ للمزيد أكثر حول هذه المراسلات راجع : عبد الجليل التميمي ، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي الجزائر وتونس وليبيا 1871/1816، ط1 ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1985 ، ص .218

8/ التميمي ، المرجع السابق ، ص 220 وكذلك : حمدان خوجة ، المرآة ، ترجمة محمد العربي الزبيري ، ط2 ، ش.و.ن.ت.الجزائر 1982، ص 227

9/ أبو القاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال ، ط3 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1982 ، ص 115 .

10/ منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954 ، الجرائم الفرنسية و الإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن 19 ، ط1 ، 2007 / ص 122 .

11/ المركز الوطني للدراسات و البحث ، التجارب النووية الفرنسية في الجزائر ، ط1 ، مطبعة هومة 2000 .

12/ مريوش ، القضايا الوطنية في اهتمامات الأنتلجانسيا الجزائرية مابين 1927/1876 ، مجلة حولية المؤرخ ، العدد 2 ، سنة 2002 ، ص 219 .

13/ Archive D' aix en provense ; 16 H 72

14/ Ibid

15/ مريوش، الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية ،ط، دار هومة 2007،ص109وكذلك:
Mahfoud Smati ;les élites Algériennes sous la colonisation ; t1; éditions dahlab 1998 ; p 234 .

16/ Chérif ben habiles ;L' Algérie française vue par un indigène ; Algérie orientale 1914 ; p114 .

17/ مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن ، ط2 ، دار الفكر للطباعة و النشر دمشق 1984، ص 300 .

18/ جمال قنان ، مشاغل المجتمع الجزائري من خلال الصحافة 1914/1882 مجلة المصادر ، العدد 9 ،

مارس 2004 ، ص 25 .

19/ محفوظ قداش ، الأمير خالد وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1987 .ص27 .

20/ شارل روبير آجيرون ، الجزائريون المسلمون و فرنسا 1919/1871 ، ج2 ، ترجمة حاج مسعود ، ط1 ، دار الرائد للكتاب الجزائر 2007 ، ص .837

21/ سعد الله،أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر،المجلد الأول، ط4 ،دار الغرب الإسلامي بيروت2005 ،ص 49

22/ كمال بوقصة ، مصادر الوطنية الجزائرية ،ترجمة ميشال سطوف،ط1، دار القصبة للنشر 2005،ص 273

23/ محمد قنانش ، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1939/1919 ط1 ، ش.و.ن.ت. الجزائر 1982 ، ص 35 .

24/ عبد القادر جغلول ، الاستعمار الصراعات الثقافية في الجزائر ، ترجمة سليم قسطون ، ط1 ، دار الحداثة بيروت 1984 ، ص191 .

25/ آجيرون ، المرجع السابق ، ص 840 .

26/ Mahfoud Kaddache ; Histoire du nationalisme Algérien question nationale et politique Algérienne 1919/1951 ; T1 , S.N.E.D ;1981 ; p89 . 200 كذلك: جغلول ، المرجع السابق ، ص

27/ يوسف مناصرية ، الشيخ صالح الشريف المفكر الإسلامي1919/1859، مجلة حولية المؤرخ الجزائري، العدد1 ، 2002 ، ص 233. وكذلك : حمادي الساحلي ، تراجم وقضايا معاصرة ، ط1 دار الغرب الإسلامي بيروت 2005 ، ص 422 .

28/ علي المحجوبي وعبد الحميد الشابي ، جذور الحركة الوطنية التونسية 1934/1904 ، ط1 ، بيت الحكمة قرطاج ، 1999 ، ص 217 .

29/ Henri Alleg et autres ; La Guerre d'Algérie ; éditions Messidor ; paris 1981 ; p169.

30/ مناصرية ، الشيخ صالح الشريف ، ص 239 .

31/ مريوش ، نماذج من الجمعيات الجزائرية ودورها في تعميق الوعي التحرري ما بين 1922/1900 ، مجلة حولية المؤرخ ، عدد 3و4 الموافق ل 2005 ، ص 401 .

32/ أرشيف إكس آن بروفانس بفرنسا رقم12H 6

33/ مريوش ، فيدرالية اتحاد المنتخبين المسلمين الجزائريين وموقفها من القضايا الوطنية ما بين 1939/1927 ، مجلة الباحث ، العدد01 ، 2009 ، ص .253

34/ مريوش ، دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحركة الوطنية ما بين 1952/1931 ، مجلة الرؤية ، العدد 02 ، ماي جوان 1996 ، ص 114 .وكذلك : علي مراد ، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر بحث في التاريخ الديني و الاجتماعي من 1925الى 1940، ترجمة محمد يحياتن ، ط1 دار الحكمة 2007 .

35/ مريوش ، الطيب العقبي ، ص 147 .

36/ خيتر عبد النور وآخرون ، منطلقات و أسس الحركة الوطنية الجزائرية 1954/1830 ، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث تحت إشراف المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954 ، ط1 ، المطبعة الرسمية بئر مراد رايس 2007 ، ص 288 .

37/ عمار أوزقان ، الجهاد الأفضل كلمة حق عند سلطان جائر ، ترجمة ميشال سطوف ،ط1 ، دار القصبة للنشر 2005 ، ص107 .

38/ بنيامين سطورة ، مصالي الحاج 1974/1898 رائد الوطنية الجزائرية ، ترجمة صادق عماري ،ط1 ، دار القصبة الجزائر 1999 ، ص 135 .

39/ سطورة ، المرجع السابق ، ص 177 .

40/ حميد عبد القادر ، فرحات عباس رجل الجمهورية ، ط1 ، دار المعرفة 2007 ، ص 86 .

41/ محمد قنانش ، ذكرياتي مع مشاهير الكفاح ، ط1 ، دار القصبة الجزائر 2005 ، ص 65 .

42/ Benjamin Stora-Zakya Daoud ;Ferhat Abbas une autre Algérie ;éd casbah 1995 ; p 115 .

43/ Benyoucef ben Khedda les origines du premier novembre 1954, 2 éd imprimerie houma , p80 .

44/ أني راي غولدزيغر ، جذور حرب الجزائر 1945/1940 ، ترجمة وردة لبنان ، ط1 ، دار القصبة للنشر الجزائر 2005 ، ص 367 .

45/ م حمود علي عامر ، تاريخ المغرب العربي المعاصر ، ط3 ، منشورات جامعة دمشق 2004، ص 53 .

46/ المنظمة العربية للثقافة و العلوم ، الموسوعة الصحفية العربية ، الجزء الرابع ، تونس، الجزائر ،الجماهيرية الليبية، موريتانيا ، المغرب ، تونس 1995 ، ص82 . ،

47/ يحي بوعزيز ، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري 1954/1830 ، ط1 ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1995 ، ص 45 .

48/ محفوظ قداش ، جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1954/1830 ،ترجمة محمد المعراجي ، ط1 ، المؤسسة الوطنية للاتصال وحدة رويبة 2008 ، ص 381 .

49/ محمد البشير الإبراهيمي ، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي ، الجزء الرابع ، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت 1997 ، ص 10 .

50/ مريوش ، القيم التاريخية لنداء أول نوفمبر1954، جريدة الشعب، الموافق ل 2 نوفمبر 1994 .

51/ علي عليلات ، بيان أول نوفمبر ظروف صدوره و أباده ، مجلة الثقافة ، العدد83 ، سبتمبر أكتوبر 1984 ، ص 399 .

52/ Mohamed Djeraba ; la proclamation du premier novembre 1954 un appel aux armes un hymne à la paix ;les éditions practicom Aller 2002 p 58 .

53/ جيلالي صاري ، الأرياف الجزائرية عشية اندلاع حرب التحرير الوطني ، مجلة الثقافة ، العدد83 ، سبتمبر أكتوبر 1984 ، ص 202 .

54/ سعد دحلب، المهمة منجزة من أجل استقلال الجزائر، ط، المؤسسة للفنون المطبعية رغاية 2008،ص11

55/ المتحف الوطني للمجاهد ، الشهيد محمد العربي بن المهيدي ، ط1 ، مطبعة هومة 2002 ، ص 16.

56/ عبد الحميد مهري ، شهادة حول الشهيد العربي بن المهيدي ، مجلة المصادر ، العدد 13، 2006 ، ص 327 .